محمد ﷺ
نبى الرحمة

س - معلوم أن النبى ﷺ أرسل رحمة للعالمين، والعالمون جمع عالم وهو ما سوى الله تعالى، ومنهم الملائكة، فهل كانت رسالته شاملة لهم ؟

جـ - جاء فى شرح الزرقانى على المواهب اللدنية « ج٥ ص٢٧٠ » أن الملائكة خارجون عن هذا العموم على مذهب الأكثر أنه ﷺ ليس مرسلا إليهم، وفى ص٢٧٣ ذكر أن من خصوصيات النبى ﷺ أنه أرسل إلى الملائكة فى أحد القولين، ورجحه السبكى والبارزى وابن حزم والسيوطى، ودليل رجحانه قول الله تعالى: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً** ﴾ [الفرقان: ١] والمراد بالعبد هنا محمد عليه الصلاة والسلام، والعالم هو ما سوى الله، فيتناول جميع المكلفين من الجن والإنس والملائكة، وليس هناك دليل صحيح على إخراجهم من المكلفين . وتحدث كثيرا فى ذلك، وأشار إلى أنه لو كان مرسلا إليهم، لكان منهم الصحابة كما يكون الجن أيضا من الصحابة . والأولى ترك هذه المسألة لله تعالى، ولسنا مكلفين بها . وإن كان قد روى أن الرسول ﷺ سأل جبريل هل استفاد من رسالته فقال : نعم، لأننى كنت أخشى ما وقع فيه إبليس، ولكن نزلت بالقرآن عليك وفيه قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ** ﴾ [الحاقة: ٤٠] اطمأننت إلى نهايتى الطيبة .

س - هل صحيح أن النبى ﷺ لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [الضحى: ٥] قال: «لا أرضى وواحد من أمتى فى النار» ؟

جـ - جاء فى تفسير القرطبى لهذه الآية قوله : فى صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبى ﷺ تلا قول الله تعالى فى إبراهيم: ﴿ **فَمَن**

﴿ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم:٣٦] وقول عيسى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ [المائدة:١١٨] فرفع يديه وقال «اللهم أمتى أمتى» وبكى، فقال الله تعالى لجبريل: «اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك» فأتى جبريل النبى ﷺ فسأله فأخبره، فقال الله تعالى لجبريل: اذهب إلى محمد فقل له: إن الله يقول لك: «إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك» ثم قال القرطبى: وفى الحديث لما نزلت هذه الآية قال النبى ﷺ «إذًا والله لا أرضى وواحد من أمتى فى النار» وهذا الحديث رواه الديلمى فى الفردوس عن على، وأخرجه أبونعيم فى الحلية موقوفا عَلَى عَلِيّ، وهو مرفوع حكما إذْ لا مدخل للرأى فيه، وذكر القسطلانى أنه من غرور الشيطان ولعبه بهم أى الشيعة . لأن الرسول يرضى بما يرضى به ربه ومنه إدخال النار من يستحقها من الكفار والعصاة المسلمين . ثم يحدد الله لرسوله من يشفع فيهم ولا يزيد على ذلك، وقيل فى توضيح ما نسب إلى على: لا يرضى بالدخول على وجه الخلود[1] .

س - ما هى الإرهاصات التى أنبأت بظهور الرسول ﷺ ؟

جـ - هذه الإرهاصات كثيرة أفردت لها بعض المؤلفات، ويعوز بعضها الدليل القوى، وقد ذكر منها دعوة امرأة لعبد الله والد النبى ﷺ أن يتزوجها أو يجتمع بها لأنها رأت نورا فى وجهه تنبأت أن يكون هو نور نبى يولد له فتمنَّت أن يكون هو ابنها، فصرفه الله عنها وتزوج آمنة، ومنها حفظ الله لبيته الحرام أن يهدمه الفيل فى العام الذى ولد فيه الرسول وتنبأ بذلك جده عبد المطلب للنور الذى ظهر على وجهه وهو واقف على جبل ثبير، ومنها عدم تحقيق الله لنذر عبد المطلب أن يذبح الولد العاشر فكان هو عبدالله والد النبى، وقدّمَ بدل

---

(١) أو لا يرضى دخولهم النار دخولا يشدد عليهم العذاب بل يكون خفيفا، بل نسب إلى الرسول قوله: «إنما حرُّ جهنم على أمتى كحر الحمام» أخرجه الطبرانى برجال ثقات عن الصديق، وللدارقطنى عن ابن عباس رفعه «إن حظ أمتى من النار طول بلائها تحت التراب» الزرقانى على المواهب اللدنية «ج٦ ص٢١٢».

ذلك فداء، وجاء فيه الخبر « يا ابن الذبيحين » ومنها رؤيا آمنة لما حملت أن ابنها سيكون نبيا وما رأته من النور حين ولد، ومنها نداء اليهودى بأن المولود سيكون نبيا، وكذلك ارتجاج إيوان كسرى وسقوط أربع عشرة شرفة من شرفاته، وغيض بحيرة طبرية، وخمود نار فارس كما رواه البيهقى وأبونعيم، ومنها حراسة السماء بالشهب ومنع الشياطين من استراق السمع، ومنها ظهور الخير عند مرضعته حليمة السعدية وشق صدره، ومنها كلام بحيرا الراهب فى سفره للشام وتظليل الغمام له - ومنها غير ذلك كثير يطلب من كتب السيرة .

س - هل سمى أحد باسم محمد قبل ولادته ﷺ ؟

جـ - جاء فى كتابى « « تربية الأولاد فى الإسلام » أحد كتب موسوعة الأسرة - أنه لم يتسمَّ أحد من العرب باسم محمد إلا قبل البعثة، عندما شاع أن نبيا يبعث اسمه محمد، ومن هؤلاء: محمد بن البراء البكرى، وهو صحابى أدرك الإسلام، وذكر صاحب « كشف الغمة » أسماء أربعة عشر ممن تسموا بمحمد، وأوصل بعضهم عددهم إلى عشرين مع تكرار فى بعضهم ووهم فى بعضهم الآخر، ولخَّص منهم خمسة عشر لم يدرك أحد منهم الإسلام إلا محمد ابن البراء . أما محمد بن عدى التميمي السعدى ففى سياق الحديث عنه ما يدل على أنه أدرك الإسلام، وذكر ابن خلكان أنه لا يعرف أحد سمى بمحمد فى الجاهلية إلا ثلاثة، كان آباؤهم قد وفدوا على بعض الملوك، وكان عنده علم من الكتاب الأول فأخبرهم بمبعث النبى ﷺ وباسمه، وكان كل منهم قد خلّف زوجته حاملا، فنذر كل منهم إن ولد له ذكر أن يسميه محمدا ففعلوا ذلك، وهم: محمد بن سفيان بن مجاشع جدّ الفرزدق، والآخر محمد بن أحَيحَة بن الحلاج أخو عبدالمطلب لأمه، والآخر محمد بن حمدان بن ربيعة، وأما أحمد فلم يتسمَّ به أحد قبله ﷺ .

وفى أيام النبى ﷺ سُمِّى باسم محمد، وأقره الرسول، ومنع الكنية فقط .

ففى صحيح مسلم عن جابر قال : ولد لرجل منا غلام فسماه محمدا، فقال له قومه: لا ندعك تسمى باسم رسول الله ﷺ، فانطلق بابنه حامله على ظهره، فأتى به النبى فقال: يا رسول الله، ولد لى غلام فسمَّيته محمدا، فقال لى قومى: لا ندعك تسمى باسم رسول الله ﷺ، فقال له الرسول «تسموا باسمى، ولا تكنوا بكنيتى، فإنما أنا قاسم أقسم بينكم».

س - هل مراجعات سيدنا موسى عليه السلام لسيدنا محمد ﷺ فى فرضية الصلاة ليلة المعراج تظهر أن موسى عليه السلام أكثر رأفة بالأمة الإسلامية؟

جـ - معلوم أن سيدنا موسى عانى من قومه ما لم يعانه أحد من الرسل، ولذلك تكررت قصته فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة، حتى يتأسّى الرسول وصحبه بها ليصبروا على ما يلاقونه فى الدعوة من متاعب، وبنو إسرائيل - مع أنه منهم - كانوا قوما عصبيين، فيهم عناد ومشاقَّة وتمرد، تكفل القرآن ببيانها فى آيات كثيرة لا مجال لذكرها هنا.

وقد مرَّ الرسول ﷺ فى المعراج إلى السماء بعدة رسل، أولهم آدم، ثم عيسى ويحيى، ثم يوسف ثم موسى ثم هارون، وفى النهاية إبراهيم، وعندما فرض الله عليه الصلاة خمسين مرة فى اليوم والليلة أشفق موسى على أمة محمد من هذا التكليف، وذلك من واقع تجربته مع بنى إسرائيل، فقد جاء فى بعض ما نصه فى الصحيحين «وبلوت بنى إسرائيل وعالجتهم أشد المعالجة على أدنى من هذا فضعفوا وتركوه، وأمتك أضعف أجسادا وأبدانا وأبصارا وأسماعا، وكانت الصلاة المطروحة على بنى إسرائيل صلاتين فقط» فأشار عليه بطلب التخفيف من الله. وجاء فى بعض الروايات قول الرسول عنه «و نعم الصاحب كان لكم».

وليكن معلوما أن الأنبياء كلهم أعضاء فى أسرة واحدة، هى أسرة الدعوة إلى الله، وبينهم من التعاطف ما هو أقوى من تعاطف أعضاء الأسر الأخرى،

والرسول قال «الأنبياء إخوة من علاَّت، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم، لأنه ليس بينى وبينه نبى» وهو الذى مدح موسى وأطراه ورفع من قدره حين اختصم إليه يهودى ومسلم، كل يفضل نبيه على نبى الآخر، حتى جاء فى الحديث «أن الرسول أول من ينشق عنه الأرض يوم القيامة فيرى موسى واقفا بجوار العرش فيقول: هل جوزى بصعقة الدنيا يوم أن تجلَّى الله للجبل. أم انشق عنه القبر قبله» فلا غرابة بعد ذلك أن يكون بين اعضاء الأسرة الدينية الداعية إلى الله إحساس بالرحمة والعطف والعدل لمصلحة الجميع.

س - يقول بعض الناس إن الرسول ﷺ كان يقول فى التشهد فى الصلاة: وأشهد أنى رسول الله. ولم يقل ما يقوله الناس: وأشهد أن محمدا رسول الله، فهل هذا صحيح ؟

جـ - جاء فى المواهب اللدنية وشرحه للزرقانى «ج٧ ص٣٢٩» أن الرسول ﷺ علَّم الصحابة صيغة التشهد فى الصلاة، وفيها: وأشهد أن محمدا رسول الله، قال النووى: كان الرسول ﷺ يقولها فى التشهد كما نقول نحن، ويَرُدَّ بذلك على ما نقل عن الرافعى أنه كان يقول: وأشهد أنى رسول الله. وتعقبوه بأنه لم يُرْوَ كذلك صحيحا، بل قال ابن حجر: إنه لا أصل له، وألفاظ التشهد متواترة عنه وأنه كان يقول: أشهد أن محمدا رسول الله وعبده ورسوله.

نعم وقع فى البخارى أن أزواد القوم عندما خفّت دعا الرسول ﷺ ربه قائلا: أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، ورواه مسلم أيضا. وفى البخارى فى قصته جَدَّ نخل جابر واستيفاء غرمائه وفضل له من التمر - قوله ﷺ حين بشره جابر بذلك «أشهد أنى رسول الله».

يؤخذ من هذا أن صيغة التشهد كان الرسول يقولها كما علّمها للناس، ولم يقل فيها: وأشهد أنى رسول الله. أما فى غير الصلاة فكان يقولها فى بعض المواطن، انتهى ملخصا.

س - هل صحيح أن النبى ﷺ سَهَا وهو يصلى، وما هو السبب إن كان ذلك صحيحا، وهل السهو يجوز عليه ؟

جـ - جاء فى شرح الزرقانى للمواهب « ج٧ ص٣٤٨ » أن بعض العلماء فرقوا بين السهو والنسيان، وأن السهو جائز فى الصلاة على الأنبياء، بخلاف النسيان، لأنه غفلة وآفة، وأما السهو فهو شغل باله، فكان النبى يسهو ولا يغفل عنها، وضعّف بعضهم هذا الفرق والحكم، فقد ثبت فى الصحيحين أن النبى ﷺ قال « إنما أنا بشر أنسى كما تنسون » وأن السهو فى الشىء تركه من غير علم - كما قال فى النهاية - والسهو عنه تركه مع العلم، فالأول جائز وممكن بخلاف الثانى لقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾ [الماعون:٥] وذكر أن سهو النبى من إتمام نعم الله على أمة النبى ﷺ وإكمال دينه، ليقتدوا به فيما شرعه النبى لهم عند سهوه، وهذا معنى الحديث المنقطع الذى فى الموطأ « إنما أنْسَى أو أُنَسَّى لأسن » ثم ذكر حكم سجود السهو .

س - هل صحيح أن النبى ﷺ نام ليلا ولم يستيقظ من نومه حتى فاتت منه صلاة الصبح بطلوع الشمس ؟

جـ - نعم صح ذلك فى حديث مسلم وغيره، مع اختلاف الروايات فى حادثة النوم التى كانت فى سفر . ولما استيقظ أمر بالأذان وصلى بالناس الصبح جماعة، ولم يرض منهم أن يؤجلوا القضاء إلى يوم آخر فى وقت الصبح قائلا « نهانا الله عن الربا ويقبله منا » ؟ وأطال الزرقانى فى شرح المواهب « ج٥ ص٧٢ ، ١٦٦، ج٦ ص ١٧٠ » الكلام عن نوم العين ونوم القلب، وأثر الشيطان فى ذلك، فليرجع إليه من أراد التوسع .

س - جاء فى القرآن قول الله تعالى للنبى ﷺ ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [محمد:١٩] فكيف يقع من الرسول ذنب مع أنه معصوم ؟

جـ - تحدثت عن ذلك فى كتاب « المصطفون الأخيار » وتحدث عنه

القسطلانى فى المواهب اللدنية وشرح الزرقانى « ج٥ ص٢١٦ » لحديث مسلم « إنه ليغان على قلبى وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة » وفى رواية « سبعين مرة » . وفسَّر الغَيْن بالغطاء ويلفظ أيضا « يغام » بالميم كما قال النووى، وفسَّر عياض سبب الغين بغفلات القلب وفترات النفس وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بسبب ما عاناه الرسول فى حياته وتبليغ رسالته، وهو أمر جائز فى غير طريق البلاغ، وقيل : الغين هو السكينة التى تغشى قلبه، فيستغفر عندها لإظهار العبودية والشكر لله، وقيل غير ذلك، حتى قال السهروردى : لا تعتقد أن الغين حالة نقص بل هو كمال أو تتمة كمال .

ثم ذكر الزرقانى : وقد استشكل وقوع الاستغفار من النبى ﷺ وهو معصوم، والاستغفار يستدعى وقوع معصية، وأجيب بأجوبة، منها ما تقدم فى تفسير الغين، ومنها قول ابن الجوزى هفوات الطباع البشرية لا يسلم منها أحد، والأنبياء وإن عصموا من الكبائر لم يعصموا من الصغائر، كذا قال، وهو مُفَرَّع على خلاف المختار والراجح من عصمتهم من الصغائر أيضا، ومنها قول ابن بطال : الأنبياء أشد الناس اجتهادا فى العبادة لما أعطاهم الله من المعرفة، فهم دائبون فى شكره معترفون له بالتقصير . انتهى .

ومحصل جوابه أن الاستغفار من التقصير فى أداء الحق الواجب له تعالى، ويحتمل أن يكون لاشتغاله بالأمور المباحة من أكل أو شرب أو جماع أو نوم أو راحة أو مخاطبة الناس والنظر فى مصالحهم ومحاربة عدوهم تارة ومداراته أخرى لتأليف المؤلفة وغير ذلك مما يحجبه عن الاشتغال بذكر الله والتضرع إليه ومشاهدته ومراقبته، فيرى ذلك ذنبا بالنسبة إلى المقام العلى وهو الحضور فى حضرة القدس، ومنها أن استغفاره تشريع لأمته أو من ذنوبهم فهو كالشفاعة لهم، وقال الغزالى، كان ﷺ دائم الترقى، فإذا ارتقى إلى حال رأى ما قبلها ذنبا فاستغفر الله من الحال السابق .

س - نعرف أن المسلمين هزموا فى غزوة أحد، لكن هل يجوز أن نقول: إن النبى ﷺ هزم معهم أيضا ؟

جـ - جاء فى شرح الزرقانى للمواهب اللدنية « ج٢ ص٥٧ » أن القاضى عياض فى كتابه « الشفاء » نقل عن القاضى أبى عبدالله المعروف بابن المرابط، من المالكية أنه قال: من قال: إن النبى ﷺ هزم أو فَرَّ وهرب وتوارى واختفى يستتاب، فإن تاب وإلا قتل لأنه تنقيص، إذ لا يجوز ذلك عليه لأمر خصه الله به حيث ثبَّت قلبه وألقى الرعب فى قلوب أعدائه . إذ هو على بصيرة من أمره ويقين من عصمته . انتهى . ويقول الزرقانى فى التعليق عليه : إنه ضعيف، وعقَّب عليه صاحب « الشفاء » بأن القروى قال : مذهب مالك وأصحابه أن من قال ما فيه نقص قتل دون استتابة، ولهذا قال - القسطلانى - الشافعى : هذا موافق لمذهبنا أن سَبَّ الرسول ردة .

ثم جاء فى شرح الزرقانى المذكور « ج٣ ص١٧ » بخصوص غزوة حنين وما فى رواية مسلم عن سلمة بن الأكوع : ومررت على الرسول ﷺ منهزما أن (منهزما) حال من فاعل مررت - وهو سلمة - لا من الرسول، وقد قالت الصحابة كلهم إنه عليه الصلاةوالسلام ما انهزم، ولم ينقل أحد قط أنه انهزم فى موطن من المواطن، وقد نقلوا إجماع المسلمين على أنه لا يجوز أن يعتقد انهزامه ﷺ، ولا يجوز ذلك عليه، بل كان العباس وأبو سفيان بن الحارث آخذين ببغلته يَكُفّانها عن إسراع التقدم إلى العدو لما ركضها فى نحورهم، فنزل عنها واستنصر وتقدم ورمى العدو بالتراب .

س - هل بلقيس ملكة سبأ من نسل الجن ؟

جـ - جاء فى تفسير القرطبى كلام كثير فى هذه المسألة « ج١٣ ص٢٠٨ » وما بعدها وخلاف فى كون سليمان تزوجها أو لم يتزوجها، وأن أباها هو « السرح » لم يتزوج من أهله فى اليمن لعدم الكفاءة فزوجوه امرأة من الجن يقال لها « ريحانة بنت السكن » فولدت له « بلقمة » وهى بلقيس، ولم يكن له ولد غيرها . وقال أبو هريرة قال النبى ﷺ « كان أحد أبوى بلقيس جنيا » وقال

أبو بكرة: ذكرت بلقيس عند النبى ﷺ فقال «لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» رواه البخارى والنسائى والترمذى - ثم قال : قال الماوردى: والقول بأن أم بلقيس جنية مستنكر من العقول لتباين الجنسين واختلاف الطبيعتين وتفارق الحسّين . . ويستحيل التناسل مع هذا الاختلاف . قال محقق تفسير القرطبى: هذا هو الحق، وما يحيله العلم يحيله العقل . قال القرطبى : قد مضى القول فى هذا، والعقل لا يحيله مع ما جاء من الخبر فى ذلك . وإذا نظرت فى أصل الخلق فأصله الماء، ولا بُعْدَ فى ذلك والله أعلم .

س - معلوم أن الصلاة على النبى ﷺ مطلوبة، فهل هناك صيغة خاصة لهذه الصلاة ؟

جـ - صيغة الصلاة على النبى ﷺ وردت فى أحاديث كثيرة، وأفضلها اللهم صل على محمد، قال النووى فى كتابه «الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار» ص٧٢ : الواجب هو : اللهم صل على محمد، وإن شاء قال: صلَّى الله على محمد، وإن شاء قال صلى الله على رسوله، أو صلى الله على النبى . وجاء مثل ذلك فى حاشية الشرقاوى على «التحرير» للأنصارى «ج١ ص١٩٢» ونصه: أقلَّ الصلاة على النبى وآله : اللهم صل على محمد وآله، ويكفى : صلى الله على محمد أو على رسوله أو على النبى وصيغة الماضى تفيد الإنشاء والدعاء، كما جاء فى حديث رواه الترمذى وقال حسن صحيح «مَنْ صُنع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد أبلغ الثناء» .

وذكر النووى فى «الأذكار» ص١٢٢ أنه يستحب الترضى والترحم على الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء والعباد وسائر الأخيار، فيقال : رضى الله عنه، أو رحمه الله، ونحو ذلك . (انظر المجلد الرابع من أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام ص٢٩٩) .

س - من هو الصحابى الذى عرف بأنه حوارى رسول الله ﷺ ، ومن هو أسد الله الغالب ؟

جـ - الحوارى هو الزبير بن العوام، أمه صفية بنت عبد المطلب عمة

النبى ﷺ . روى البخارى ومسلم أن الرسول ﷺ قال «لكل نبى حوارى، وحواريى الزبير» . كان أول من سلَّ سيفًا فى سبيل الله، وقال له الرسول يوم الأحزاب «فداك أبى وأمى» كما رواه الترمذى وقال : حديث حسن، توفى فى وقعة الجمل سنة ٣٦ هـ . والحواريون هم الأصحاب المناصرون المخلصون للنبى .

وأسد الله هو حمزه بن عبدالمطلب عم النبى ﷺ، جاء فى «معجم البغوى والطبرانى» أن النبى ﷺ قال «والذى نفسى بيده إنه لمكتوب عند الله عز وجل فى السماء السابعة: حمزة أسد الله ورسوله» استشهد فى غزوة أحد سنة ٣ هـ.

س - أرجو تفسير قوله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر:١] **ومتى ينشق القمر ؟**

جـ - اقتراب الساعة حقيقة كما فى الحديث « بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى، ومن أجل ذلك كان الرسول خاتم الأنبياء، لا نبى بعده حتى تقوم الساعة .

وانشقاق القمر هو المعجزة القوية التالية لمعجزة القرآن (وإن كانت معجزة القرآن للتحدى) ومعنى انشق القمر: انشق بالفعل، وعليه جمهور العلماء، وثبت ذلك فى البخارى وغيره . يقول الترمذى فى حديث حسن صحيح عن أنس: سأل أهل مكة النبى ﷺ آية فانشق القمر بمكة مرتين، فنزلت ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ** ﴾ [القمر:١] إلى قوله تعالى: ﴿ **سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ** ﴾ [القمر: ٢].

ولفظ البخارى عن أنس قال: انشق القمر فرقتين. يقول القرطبى فى تفسيره «ج١٧ ص١٣٦» ثبت بنقل الآحاد العدول أن القمر انشق بمكة، وهو ظاهر التنزيل، ولا يلزم أن يستوى الناس فيه - أى فى رؤية ذلك - لأنها كانت آية ليلية، وأنها كانت باستدعاء النبى ﷺ من الله للتحدى. ومما يؤكد أنه وقع قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ **وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ** ﴾ [القمر: ٢].

وقال قوم : لم يقع انشقاق القمر وسينشق عند قرب قيام الساعة . والتعبير بالفعل الماضى بدل المضارع يدل على التأكيد، كما فى قوله تعالى فى سورة النحل: ﴿ **أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ** ﴾ [النحل: ١].

و إذا قامت الساعة انشقت السماء بما فيها من القمر وغيره، وكذلك قال القشيرى، وذكر الماوردى أن هذا قول الجمهور، وقال : لأنه إذا انشق ما بقى أحد إلا رآه لأنه آية والناس فى الآيات سواء .

وقيل : «انشق القمر» أى وضح الأمر وظهر، والعرب تضرب بالقمر مثلا فيما وضح، وقيل : انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه بطلوعه فى أثنائها، كما يسمى الصبح فلقا، لانفلاق الظلمة عنه .

ولكن رأى الجمهور هو الصحيح فى حدوث انشقاق القمر بالفعل، وكان ليلة البدر، وكان نصفه على جبل أبى قبيس، والنصف الآخر على جبل قُعَيْقعان .

س - هل صحيح أن النبى ﷺ كان إذا مشى فى الصخر غاصت قدماه فيه؟

جـ - جاء فى شرح الزرقانى على المواهب اللدنية « ج٥ ص٢٤٦ » أن ذلك مشهور قديما وحديثا على الألسن ونطق به الشعراء فى منظومهم والبلغاء فى منثورهم. وأنكره السيوطى وقال : لم أقف له على أصل ولا سند ولا رأيت مَنْ خرَّجه فى شىء من كتب الحديث، وكذلك أنكره غيره، لكن القسطلانى صاحب المواهب قوَّاه بوجود أثر قدمى الخليل إبراهيم عليه السلام فى حجر المقام المذكور فى التنزيل فى قوله تعالى: ﴿ **فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ** ﴾ [آل عمران: ٩٧] كما قوّاه بما رواه البخارى من معجزة ضرب موسى فى الحجر، ويؤيده وجود أثر حافر بغلته الشريفة على ما قيل فى مسجد بطيبة حتى عرف المسجد بها فيقال مسجد البغلة.

س - هناك كلام عن حديث «إنى تركت فيكم الثقلين . .» نرجو توضيح ذلك ؟

جـ - جاء فى مستدرك الحاكم: حدثنا أبوبكر محمد بن الحسين بن مصلح الفقيه عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ «إنى تركت فيكم الثقلين، كتاب الله وأهل بيتى وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض» ثم قال الحاكم: وهذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه «المستدرك للحاكم» رقم ٣٠٩ ج٣ ص١٦٠ طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان. ورواه الترمذى فى سننه هكذا: عن جابر بن عبد الله قال: رأيت رسول الله ﷺ فى حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول «يا أيها الناس إنى تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا، كتاب الله وعترتى أهلى» أخرجه الترمذى فى سننه «كتاب المناقب، باب مناقب أهل البيت» وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب ج٥ ص٦٦٢ .

وهناك حديث ثان أخرجه الحاكم فى المستدرك هكذا - حدثنا أبوبكر أحمد بن إسحاق الفقيه عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خطب الناس فى حجة الوداع فقال «قد يئس الشيطان أن يعبد بأرضكم، ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروا يا أيها الناس، إنى تركت ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، إن كل مسلم أخ للمسلم، المسلمون إخوة، ولا يحل لامرئ من مال أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس، ولا تظلموا ولا ترجعوا من بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» ثم قال الحاكم : وهذا الحديث لخطبة النبى ﷺ متفق على إخراجه فى الصحيح، هذا الحديث رقم ٣١٨/ ٣١ ص١٧١ ج١ .

ثم روى حديثا آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إنى تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما، كتاب الله وسنتى، ولن يتفرقا حتى

يردا على الحوض» ص٩١٩ / ٣٢ ج١ ص١٧٢ ، وأخرجه الإمام مالك فى الموطأ ٢ / ٨٩٩ كتاب القدر .

س - هل هناك حديث يقول «لا يمر زمان إلا والذى بعده شر منه»؟

جـ - نعم رواه البخارى «انظر رياض الصالحين ص٦٣» .

س - هل هناك حديث يقول «من نام بعد العصر فاختل عقله فلا يلومن إلا نفسه»؟

جـ - ليس حديثا، بل هو من قول بعض السلف، كما فى زاد المعاد (ج٣ ص١٤٣) .

س - هل صحيح أن الجذع حَنَّ إلى النبى ﷺ ؟

جـ - جاء فى شرح الزرقانى للمواهب اللدنية «ج٥ ص١٣٣» أن حنين الجذع الذى كان النبى يخطب عنده قبل عمل المنبر، ورد عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة تفيد القطع بوقوع ذلك . فهو متواتر رواه البخارى، وأطال فى الحديث عنه من جهة كلامه معه ومن جهة دفنه وغير ذلك .

س - هل صحيح أن خاتم النبى ﷺ وقع فى بئر أريس ؟

جـ - جاء فى شرح الزرقانى للمواهب اللدنية «ج٥ ص٢٩» أن البخارى ومسلما رويا أن النبى ﷺ اتخذ خاتما من ورق - أى فضة - وكان فى يده ثم فى يد أبى بكر ثم فى يد عمر مدة خلافتهما، ثم كان فى يد عثمان حتى وقع منه فى «بئر أريس» وهى حديقة بقرب مسجد قباء، فأمر عثمان بنزح البئر فلم يوجد .

س - هل هناك حديث يقول «من أحيا سنتى عند فساد أمتى فله أجر مائة شهيد» ؟

جـ - لم أجد هذا فى حديث صحيح وإن كانت هناك أحاديث صحيحة

تدل على أن التمسك بالدين فى أيام الفتن له ثوابه العظيم، فقد روى مسلم أن النبى ﷺ قال «العبادة فى الهرج كهجرة إلىَّ» يقول النووى فى شرح ذلك: المراد بالهرج هنا الفتنة واختلاط أمور الناس. وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها ولا يتفرغ لها إلا أفراد «شرح صحيح مسلم ج١٨ ص٨٨» ويؤيد ذلك حديث آخر رواه مسلم «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء» كما يؤيده ما رواه ابن ماجه والترمذى وقال: حسن غريب - أى رواه راوٍ واحد فقط - أن النبى ﷺ قال فى ضمن حديث «فإن من ورائكم أياما، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله». فهناك ثواب عظيم لمن تمسك بسنة النبى ﷺ، والمراد بها شريعته التى جاء بها بما فيها من فروض وسنن، عند فساد الزمان، لكن تحديد هذا الثواب بأنه مثل ثواب مائة شهيد لم أعثر عليه فى حديث صحيح.

س - هل من الحديث ما يقال «لن تذهب الدنيا حتى تصير للكع بن اللكع، وهل يعنى ذلك أن الكافرين سيملكون زمام البشرية ؟

جـ - جاء فى «مشارق الأنوار» للعدوى ص ١١٧ عن علامات الساعة الصغرى أن منها رفع الأسافل، قال رسول الله ﷺ «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع» يعنى بذلك السفلة من الناس. وهو حديث قال عنه السيوطى فى الجامع الكبير: رواه أحمد والترمذى حسن.

والمعنى قلب الأوضاع، فالعادة أن الملوك يكونون من الطبقات العليا، فإذا صاروا من الطبقة السفلى كان ذلك دليلا على الفساد الذى تقوم عليه القيامة.

س - هل هناك حديث يقول «الحكمة ضالة المؤمن» ؟

جـ - روى الترمذى أن النبى ﷺ قال «الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أجدر بها» وقال عنه: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وفى معناه «خذ الحكمة ولا يضرك من أى وعاء خرجت» وهو حث على طلب العلم النافع من أى

مصدر كان، فالعلم بحر واسع لا يدرك مداه ولا غوره، والله سبحانه يقول: ﴿ **وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [الإسراء:٨٥] ويقول لنبيه ﷺ: ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً** ﴾ [طه:١١٤] وفى الحكمة: منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال. والمهم هو العلم الصحيح وتطبيقه فى الحياة العملية.

س - هل هناك حديث يقول «ليتها لم تزن ولم تتصدق» ؟

جـ - لم أجد حديثا صحيحا بهذا اللفظ، وإن كانت النصوص فى القرآن والسنة تدعو إلى أن تكون الصدقة من مال حلال، فالله طيب لا يقبل إلا طيبا. وقد رأيت فى كتاب «نور البصائر والأبصار» للشيخ سيد الشبلنجى ص٢٣١ أنَّ المقريزى فى خططه تكلم عن أحد ولاة القاهرة الذى بنى مسجدا وأجبر الناس عليه بغير أجر ولم يعمل فيه إلا صانع مكره أو فاعل مقيد، وكتب عليه شعرا يقول:

بنى مسجدا لله من غير حِلِّه وكان بحمد الله غير موفق
كمطعمة الأيتام من كد فرجها لك الويل لا تزنى ولا تتصدقى

س - هل هناك حديث يقول «حُبُّك الشىء يعمى ويصم» ؟

جـ - فى كتاب «المواهب اللدنية» للقسطلانى ج١ ص٢٦٠ - أن هذا حديث رواه أبو داود والعسكرى، وقيل ضعيف أو موضوع وقيل حسن. أراد النبى ﷺ أن من الحب ما يعميك عن طريق الرشد، ويصمك عن سماع الحق، وأن الرجل إذا غلب الحب على قلبه ولم يكن له رادع من عقل أو دين أصَمَّهُ حبه عن العدل، وأعماه عن الرشد، ولذا قال بعض الشعراء:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدى المساويا

س - هل هناك حديث يقول «خير أمتى فى المدن وشرها فى القرى والعزب» ؟

جـ - ليس هناك حديث صحيح بهذا المعنى.

س - هل هناك حديث يقول «الإيمان يمان»؟

جـ - نعم، روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله يقول: «أتاكم أهل اليمن، هم أرَقُّ أفئدة وألين قلوبا، الإيمان يمان، والحكمة يمانية، والسكينة فى أهل الغنم، والفخر والخيلاء فى الفدادين» والفدادون هم من يعلو صوتهم فى الإبل والخيل والحرث. والشرح موجود فى «الجزء الرابع ص٢٩ من شرح الزرقانى على المواهب اللدنية.

س - هل يجوز للمرء أن يتخذ قراره فى مختلف شئون حياته دون الرجوع إلى أولى الأمر عملا بالقول «استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك»؟

جـ - هذا الحديث كان لوابصة بن معبد الذى جاء إلى الرسول ﷺ يسأل عن البر، فهناك أمور واضحة المعالم ثابتة كالصلاة والصيام والزكاة، وهناك أمور لا نص فيها يمكن للإنسان أن يعرف حكمها بالقياس على حكم مسألة تشابهها، مع سؤال أهل الذكر فى ذلك، والذى تميل إليه نفسه المؤمنة الطالبة للخير والمتحرية للصواب يأخذ به، لأن قلبه العامر بالإيمان سيجعله بعيدا بقدر الإمكان عن الشبهات، أما القلب الذى ليس بهذه القوة والمنزلة فهو قلب يميل مع الهوى والشهوات والغرائز، ولا يعتبر مقياسا للحلال والحرام، بل يكون ممن قال الله فيهم ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ** ﴾ [الجاثية: ٢٣] وقال ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ** ﴾ [آل عمران: ٧].

إن المستعمرين والمفسدين استفتوا قلوبهم فقاموا بهذه المنكرات التى لا يوافق عليها أى دين، فلا يجوز مطلقا أن نغترّ باستفتاء القلب أيًّا كان القلب وأيًّا كان الموضوع المستفتى فيه، فالمراد بالقلب القلب المؤمن المحب للطاعة. والموضوع المستفتى فيه هو ما لم يكن فيه نص يعرف به حكمه على وجه اليقين، حيث يكون فيه خلاف.

س - عرفنا أن النبى ﷺ هاجر ومعه أبوبكر فقط، فكيف هاجر بيت الرسول وبيت أبى بكر ؟

جـ - عندما استقر النبى ﷺ بالمدينة، وتحول من دار أبى أيوب الأنصارى إلى مساكنه التى بناها حول المسجد - وصلت أسرته الكريمة التى كان قد أرسل زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه إلى مكة ليأتيا بها، وكانت أسرته تتكون من زوجته سودة بنت زمعة، وابنته فاطمة وأم كلثوم، أما ابنته رقية فقد هاجرت مع زوجها عثمان بن عفان، وأما ابنته زينب فبقيت فى مكة مع زوجها أبى العاص ابن الربيع حتى أسر زوجها . ولما مَنَّ عليه الرسول عاد إلى مكة وأرسل زينب إلى المدينة .

وذكر ابن إسحق أنه لما سمع زوجها بهجرتها تجهز وحملها فى هودج على بعير ساقه أخوه كنانة بن الربيع، ومعه فرسه وكنانته، فخرج رجال من قريش فأدركوها بمكان يسمى « ذى طوى » فسبق إليها هبَّار بن الأسود [أسلم بعد ذلك] فراعها بالرمح وكانت حاملا فوقعت وأسقطت، فثار عليه كنانة وتدخل أبو سفيان وبعض وجهاء قريش وتفاوضوا فى عودتها إلى مكة حتى تهدأ الأصوات ويخرج بعد ذلك بها سرا، فأقامت ليالى فى بيت أبى سفيان حتى تسلَّمها نساء بنى هاشم، ثم سلَّمها كنانة إلى زيد بن حارثة .

وسودة بنت زمعة زوجة الرسول ﷺ جاءت مع زيد، ولما وصلت أدخلها الرسول فى أحد البيوت التى بناها حول المسجد . وجاء مع زيد أيضا ابنه أسامة وأم أيمن وولدها أيمن .

أما أسرة أبى بكر فقد خرج عبد الله بن أبى بكر بها، ومنهم عائشة التى كان قد عقد عليها ﷺ ، كما خرجت معه أسماء أختها، وأم رومان أمها وأم أبى بكر.

س - هل كانت الصلاة على جنازة الرسول ﷺ كالصلاة على سائر الجنازات، وما حكمتها وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟

جـ - جاء فى شرح الزرقانى على المواهب اللدنية « ج٥ ص٣٢٩ » أن صلاة الجنازة على النبى ﷺ كانت بغير إمام، لعدم اتفاقهم على خليفة وقيل بوصية منه، بناء على حديث رواه الحاكم والبزار بسند فيه مجهول أنه لما جمع أهله فى بيت عائشة قالوا : فمن يصلى عليك؟ قال « إذا غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى ثم اخرجوا عنى، فإن أول من يصلى علىَّ جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنوده من الملائكة بأجمعهم، ثم ادخلوا علىَّ فوجا بعد فوج، فصلُّوا علىَّ وسلِّموا تسليما » .

وجاء فيه أيضا أن الصلاة عليه كانت بغير دعاء الجنازة المعروف كما رواه البيهقى وابن سعد وغيرهما عن علىٍّ أنهم كانوا يكبِّرون ويقولون : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله، اللهم إنا نشهد أن محمدا قد بلّغ ما أنزل عليه ونصح لأمته وجاهد فى سبيلك حتى أعز الله كلمته، فاجعلنا نتبع ما أنزل عليه، وثبّتنا بعده، واجمع بيننا وبينه، فيقول الناس : آمين، أى الناس الذين لم يكونوا مشغولين بالصلاة، أو من سبق بالصلاة ولم ينصرف، أو المصلون أنفسهم .

وجاء فيه أيضا « ج٨ ص٢٩١ » أن ابن عباس روى عنه ابن ماجه أنه قال : لما فرغوا من جهازه ﷺ يوم الثلاثاء وضع على سريره فى بيته، ثم دخل الناس عليه أَرْسَالاً - جماعات متتابعين - يصلون عليه، حتى إذا فرغوا دخل النساء، حتى إذا فرغن دخل الصبيان، ولم يؤم الناس على رسول الله أحد .

قال ابن كثير : هذا أمر مجمع عليه . واختلف فى أنه تعبّدُ لا يعقل معناه، أو ليباشر كل واحد الصلاة عليه منه إليه، وقال السهيلى : قد أخبر الله تعالى أنه وملائكته يصلون عليه، وأمر كل واحد من المؤمنين أن يصلى عليه. فوجب على

كل أحد أن يباشر الصلاة عليه منه إليه، والصلاة عليه بعد موته من هذا القبيل، قال : وأيضا فإن الملائكة لنا فى ذلك أئمة . انتهى .

وقال الشافعى فى «الأم» : وذلك لعظم أمره ﷺ وتنافسهم فيمن يتولى الصلاة عليه . وفى رواية أن أول من صلى عليه الملائكة أفواجا، ثم أهل بيته، ثم الناس فوجا فوجا، ثم نساؤه آخرا، على ما روى عند الطبرانى وغيره بسند وَاهٍ أنه أخبر بذلك قبل موته .

وجاء فى صفحة ٢٩٢ : هل كانت الصلاة عليه صلاة معتادة للجنازة أو كانت بمعنى آخر؟ ذهب جماعة إلى أن الصلاة عليه كانت دعاء، وجاء فى كتاب «تحقيق النصرة فى تاريخ دار الهجرة» للشيخ زين الدين بن الحسين المراغى أنه لما صلى أهل بيته لم يدر الناس ما يقولون : فسألوا ابن مسعود فأمرهم أن يسألوا عليا، فقال لهم : قولوا : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦] ، لبيك اللهم ربنا وسعديك، صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وما سبحّ لك من شىء يارب العالمين، على محمد بن عبدالله خاتم النبيين وسيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين، الشاهد البشير، الداعى إليك بإذنك السراج المنير، وعليه السلام . يقول «الباجى» فى عدم الصلاة، المعتادة عليه : وجهه أنه ﷺ أفضل من كل شهيد، والشهيد يغنيه فضله عن الصلاة عليه، فهو ﷺ أولى ، قال : وإنما فارق الشهيد فى الغسل لأن الشهيد حذر من غسله إزالة الدم عنه، وهو مطلوب بقاؤه لطيبه، ولأنه عنوان لشهادته فى الآخرة، وليس على النبى ﷺ ما تكره إزالته، فافترقا .

لكن قال «عياض» - وتبعه النووى كما فى صفحة ٣٣٠ من الجزء الخامس من الزرقانى على المواهب - : الصحيح الذى عليه الجمهور أن الصلاة على النبى ﷺ كانت صلاة حقيقية لا مجرد الدعاء فقط، وأجيب عما اعتلَّ به

الأولون – أى أصحاب الرأى الأول من أن الصلاة عليه كانت دعاء فقط – بأن المقصود من الصلاة عليه عَوْدُ التشريف على المسلمين، مع أن الكامل يقبل زيادة التكميل، نعم لا خلاف أنه لم يؤمهم أحد عليه كما مر، لقول على: هو إمامكم حيا وميتا، فلا يقوم عليه أحد، والحديث رواه ابن سعد .

وأخرج الترمذى أن الناس قالوا لأبى بكر : أنصلى على رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم، قالوا : وكيف نصلى؟ قال : يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون، ثم يدخل قوم فيصلون ويكبرون ويدعون فرادى .

هذا ما نقلته عن شرح الزرقانى على المواهب، وخلاصته :

أن رأى الجمهور هو صلاة الجنازة على الرسول هى الصلاة المعتادة على كل جنازة، وأنها كانت بدون إمام، أى ليست جماعة بل فرادى، والرأى الآخر أنها كانت دعاء فقط وليست صلاة بالمعنى المعروف، وحكمة الصلاة عليه مع أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأنه أفضل من الشهداء –هى إما تشريف للمصلين، وإما زيادة كمال النبى ﷺ ، فالكامل يقبل زيادة التكميل .

هذا ما كان من الصحابة عندما لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى، والمطلوب منا أن نكثّر الصلاة والسلام عليه، وأن نلتزم سنته ومنهجه، كدليل على حُبنا له كما جاء فى الحديث. روى أبو داود والبيهقى أنه ﷺ قال «من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا علىّ من الصلاة فيه، وإن صلاتكم لتعرض علىَّ» قالوا : يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرَمت – بفتح الراء – يعنى بليت ؟ فقال: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» وروى أبو داود أيضا قوله «ما من أحد يسلّم علىَّ إلا رد الله علىَّ روحى حتى أرد عليه السلام» وروى أحمد والنسائى والحاكم وصححه وغيرهم قوله «إن لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلّغوننى عن أمتى السلام» .

تمثيل الرسل والصحابة

فى بحث طويل عن تمثيل الرسل والصحابة، والخطوات التى اتخذت لقرار المسئولين عن جواز ذلك أو منعه، ألخص الحكم فيما يلى :

التمثيل فى عرف الفن قيام شخص بدور شخص آخر حقيقى أو خيالى أو افتراضى يجسد فيه معنى من المعانى، أو يحكى فيه حياة شخص آخر، أو قطعة من حياته، سواء كان الشخص حيا أو ميتا، عن طريق القصص الموضوعة والروايات المخترعة، وهو وسيلة من وسائل التثقيف والترفيه معا، وليس هو الوسيلة الوحيدة لذلك حتى يتجاوز عما فيه من بعض السلبيات، فهناك القراءة والرحلات وما إليها .

وتمثيل الشخصيات التاريخية تصوير لحياتهم وحكاية لتاريخهم بالقول والفعل، أى بالكلمة والحركة، فإن كان صادقا شكلا موضوعا، ويستهدف غرضا شريفا أعطى حكم الخبر الصادق وهو الجواز، وإن كان كاذبا فى شكله كيفا أو كما، أو فى موضوعه قولا أو فعلا أعطى حكم الخبر الكاذب وهو المنع .

وقد قرر الخبراء أنه لا يمكن مطلقا أن يقوم أحد بتمثيل شخصية أحد آخر تمثيلا كاملا من كل الوجوه، فالتفاوت حاصل لا محالة، والكذب موجود دون شك، ولا يستباح حتى لو كان الغرض صحيحا، فهو ليس من الضرورات التى تباح من أجلها المحظورات، وإذا كان هذا هو حكم تمثيل الشخصيات العادية فهو فى الشخصيات التى لها قداسة واحترام أولى . والشخصيات المحترمة درجات، أعلاها درجة الأنبياء والمرسلين، وألحق بهم بعض العلماء من ينتسبون إليهم من الزوجات والأصول والفروع المتصلة بهم . فهناك نهى عن إيذائهم وإيذاء غيرهم من البرآء، قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً** ﴾ [الأحزاب:٥٨] ، وفى إيذائهم بوجه خاص جاء

قوله تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً** ﴾ [الأحزاب:٥٧].

وإيذاء أى رسول كإيذاء رسول الله ﷺ . وبخصوص الكذب عليهم جاء الحديث الذى رواه البخارى ومسلم «من كذب علىَّ معتمدا فليتبوأ مقعده من النار» وقال تعالى فى حق الأنبياء جميعا بعد ذكر ثمانية عشر منهم فى آية ﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا** ﴾ [الأنعام:٨٣] ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾ [الأنعام:٩٠]

فتمثيلهم حرام من عدة وجوه :

١- الكذب لاستحالة التمثيل الكامل كما ذكرنا .

٢- إيذائهم، وهو أشد من إيذاء غيرهم .

٣- أنهم قدوة، والكذب عليهم تضليل لمن يقتدون بهم .

وجاء الحكم بذلك فى قرار المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية، المنعقد فى ٧ من ذى القعدة ١٣٩٧هـ (٢٠ من أكتوبر ١٩٧٧م) ونصه : ويؤيد المؤتمر الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس مجمع البحوث الإسلامية فى بيانه المؤسس على قرار المجمع بأنه : لا يقر إنتاج فيلم «محمد رسول الله» بهذا الاسم أو باسم «الرسالة» أو أى فيلم آخر يتناول بالتمثيل صاحب الرسالة أوأحد أصحابه الكرام.

ولا يجوز السماح بعرضه صيانة لشخصية الرسول الكريم وأصحابه الأجلاء من التعرض لما لا يليق بمنزلتهم المصونة .

ومن الشخصيات المحترمة أيضا صحابة الرسول ﷺ ، ومما لا شك فيه، أن بعضهم يشترك مع الرسول فى أمرين، هما احترامهم بعدم الكذب والإيذاء والاقتداء بهم، وبعضهم يشترك معه فى أمر واحد بارز هو الاحترام وإن كانت فيهم قدوة فى الجملة .

فالأولون يحرم تمثيلهم كالرسل تماما، ومنهم الخلفاء الراشدون الأربعة الذين ورد فى فضلهم حديث «فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين» أما الآخرون الذين برز فيهم عامل الاحترام وعدم الإيذاء فقد اختلفت آراء العلماء فى جواز تمثيلهم أو عدم جوازه، فبعضهم منعه فى جميعهم، لأن الإيذاء بوجه عام حرام، سواء فى الصحابة وغيرهم، ولعموم الأحاديث الواردة فى ذلك . وبعضهم خص التحريم بمن له مزيد احترام، والذين لهم مزيد احترام اختلفت فيهم وجهات النظر، فخصه بعضهم بالعشرة المبشرين بالجنة، وبعضهم أضاف إليهم من لزموا الرسول مدة طويلة وأبلوا بلاء حسنا فى خدمة الدين كالمهاجرين والأنصار الذين نص القرآن على فضلهم، وذلك بناء على اختلاف فى الأقوال فى تعريف الصحابى التى جاء فى بعضهم مراعاة الفرق فى اختصاصه بمن كثرت صحبته كما ذكره الباقلانى والغزالى وسعيد بن المسيب .

ويميل القرار الثامن لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية، وكذلك فتاوى دار الإفتاء المصرية إلى اختصاص هذا الحكم بصاحب الرسالة وأصحابه الكرام أو الأجلاء ومن عاصروا الرسالة وأسهموا فى إبلاغها «المجلد العاشر ص٣٥٣٤ ، الرابع ص١٢٩٧» .

فالخلاصة أن تمثيل الرسل حرام بالإجماع، أما الصحابة فيحرم تمثيل بعضهم ومنهم الخلفاء الراشدون ومن أبلوا بلاء حسنا فى الدين، أما غيرهم ففيه خلاف فى جواز تمثيلهم .

والأولى عدمه، وذلك لعدم الحاجة إليه، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

* * *